

وطبيعة المستوى التركيبي تتصل باللغة والنظام الذي يحكمها ، ونظام مفرداتها الذي له أصول في تجاوز بعض المفردات ، وارتباطها بموضع معين في الصياغة ، ثم ارتباطها بسياق محدد ترد فيه ، ولكن عندما يقدم المبدع عملاً فنيا فإنه لا يحافظ على كل ذلك ، وإنما يحاول تجاوزه لخلق مستويات في الأداء ترتبط به وتنمُّ عليه . وقد لاحظ القدماء ذلك من خلال مقولتهم الدقيقة : (لكل مقام مقال ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام) وكان ذلك وراء أروع مباحثهم حول الصياغة وربطها بسياقات محددة تحسن فيها وتجود .

وأصبح من أهم مقاييسهم (مناسبة الكلام لما يليق به) أي مقتضى الحال « فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم ، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحُسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب مقتضى ضعفه وقوة ، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه ، فحسن الكلام تركه ، وإن كان مقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة ، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب ، وكذا إذا كان مقتضى ترك المسند ، فحسن الكلام وروده عارياً عن ذكره ، وإن كان مقتضى إثباته مخصصاً بشيء من التخصيصات ، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها ، وكذا إن كان مقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها والإيجاز معها أو الإطناب ، أعني طيها عن البين ولا طيها ، فحسن الكلام تأليفه مطابقاً لذلك . » (٢) في هذه الفقرة السابقة يُجمل السكاكي مقتضيات الأحوال التي ترد فيها أنواع

(١) المرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ١١٩ . (٢) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص ٧٣ .